**المحاضرة العاشرة: شهاب الدين السهروردي**

**أولا: من هو شهاب الدين السهروردي؟**

هو أبو الفتوح يحيى بن حبش أميرك السهروردي، وُلد عام 1155م، وسمي بالسهروردي نسبة إلى بلدته التي وُلد فيها، وهي بلدة سهرورد الجبلية، ذات الأغلبية الكردية في شمال غربي إيران، والتي تعتبر تركيبتها السكانية سبباً وراء [اعتباره من قبل بعض العلماء كردياً](https://alarab.co.uk/%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%87%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%AF%D9%8A-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%B4%D8%A7%D8%A8-%D9%82%D8%AA%D9%84%D9%87-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%82%D9%87%D8%A7%D8%A1-%D8%BA%D9%8A%D8%B8%D8%A7-%D9%85%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%87). عندما بلغ العاشرة من عمره أرسله والده نحو "مراغة"، وهي مدينة قريبة من بلدته من أجل طلب العلم، ليدرس على يد الشيخ مجد الدين الجيلي الذي خرج من بين يديه العديد من العلماء، لعل أبرزهم هو العالم فخر الدين الرازي.

درس السهروردي على يد شيخه كل ما يتعلق بالدين والفلسفة، فحفظ القرآن الكريم وتفسيراته، كما تفوّق في الفقه والأصول والمنطق والفلسفة وقواعد النحو والصرف، حتى إنه كان أحد أصدقاء فخر الدين الرازي الذي كان يكبره ببضع سنوات فقط**.**

وعندما اشتدّ عوده، قرر السهروردي الانتقال من مدينة مراغة الصغيرة باتجاه مدينة أصفهان، التي كانت حينها مركزاً رئيسياً للدين والعلوم، ليدرس على يد شيخ يدعى ظهير الدين القاري. وقد تعرف في أصفهان على تلامذة العالم ابن سينا الذي كان يحظى باهتمام بالغ من العلماء في ذلك الوقت، إضافة إلى قراءته لكتبه.

وكان لفترة مكوثه في أصفهان تأثير كبير عليه فبدأ بكتابة أولى مطولاته "بستان القلوب"، كما ترجم "رسالة الطير" لابن سينا من العربية إلى الفارسية؛ من شدة إعجابه بها.

بعد ذلك اتجه السهروردي باتجاه مدينة حلب التي كانت خلال العصر العباسي مركزاً حضارياً نشطت فيه ترجمة كتب الفلسفة والتاريخ، فأقام فيها لكنه اصطدم بفقهائها الذين أثار غيظهم نتيجة تفوقه عليهم في المناظرات.

وقد اتهم بأنه يُخلّ بالعقيدة ويُعطلهاـ وهو ما دفع علماء حلب لإباحة دمه وطلب قتله بسبب معتقداته، حتى أنهم قرروا شكواه إلى صلاح الدين الأيوبي، بحجة أنه يفتن بابنه الظاهر الغازي للكفر والخروج عن الدين، فأمر الأيوبي ابنه أن يسجن السهروردي حتى يهلك في سجنه صبراً وجوعاً وعطشاً، لكنّ الظاهر امتنع عن ذلك، فأرسل له والده إليه يخيره بين أمرين: إما قتل السهروردي، وإما العزل، فأذعن والي حلب الملك الظاهر لأمر أبيه، وأودعه السجن داخل قلعة حلب حتى يموت خنقاً وهو في الـ38 من عمره، وكان ذلك عام 1191م.

ولهذا اشتُهر باسم " السهروردي المقتول" تمييزاً له عن صوفيَّين آخرين هما: شهاب الدين عمر السهروردي مؤلف كتاب: (عوارف المعارف) في التصوف، وصاحب الطريقة السهروردية، وتمييزاً عن أبو النجيب السهروردي صاحب كتاب: ( غريب المصابيح ).

**ثانيا: مؤلفاته**

ينبغي الإشارة إلى أن أكثر الذين نقلوا مؤلفاته وقعوا في التباسات عديدة، لوجود كتب نسبت إليه لا صلة له بها.

**الكتب والرسائل الثابتة:** حكمة الإشراق، المشارع والمطارحات، هياكل النور، رسالة مختصرة، الأربعون اسمًا، كتاب البصر.

**الكتب والرسائل المشهورة:** التنقيحات في الأصول، الرقيم القدسي، رسالة في اعتقاد الحكماء، رسالة عقل سرخ، البارقات الالهية، الرمز المومي.

**ثالثا: رحلة السهروردي من الفلسفة المشّائيّة إلى الإشراقية**

كان السهروردي جامعًا لفلسفة البرهان والعرفان في آنٍ واحد، فكان البرهان يتمثل في المدرسة (المشّائيّة) التي تعتمد على الاستدلال العقلي والمنطق، أما العرفان فكان يندرج تحته محاولة الوصول للحقائق من خلال الكشف والتجلي. هذا الجمع ظل غامضًا في فلسفته، حتى أنه أصبح فيما بعد مسار تساؤل الباحثين عن كيف جمع رجلٌ واحد بين العقلي والروحاني معًا في وعاء فلسفي واحد.

[انقسمت](https://www.goodreads.com/book/show/13601645) حكمة الإشراق عند السهروردي إلى قسمين، ضوابط الفكر، والأنوار الإلهية، والاثنان يمثلان وجهين لصورةٍ واحدة؛ الأول يتناول المنطق، والفكر، والفلسفة. والآخر يُعد تصوفًا خالصًا.

في الجزء الأول حاول هذا الفيلسوف صغير السن إصلاح المنطق الأرسطي الذي كان مسيطرًا في ذلك الوقت، والمنسوب إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو ومدرسته «المشّائيّة»، نسبةً إلى المشي؛ إذ كان الفيلسوف أرسطو وتلامذته يجتمعون في صالات الألعاب ويناقشون أمور الفلسفة والتعلم أثناء المشي في الأروقة، وهي الفلسفة التي دمجها المفكرون المسلمون في الفلسفة الإسلامية القديمة، وتقوم تلك المدرسة على الاستدلال المنطقي، واتخاذ العقل بصفته المصدر الرئيسي للمعرفة.

كانت تلك الفلسفة تقيس الأمور من خلال «القياس الإقناعي»، والذي يقسم معايير قياس الأشياء إلى قياس صحيح قائمًا على البرهان، وآخر فاسد والذي يُصنف كونه مغالطًا وسوفسطائيًا. تلك المعايير وحدها بإمكانها أن تحدد الصواب من الخطأ، بحسب أتباع هذه المدرسة. وعلى الرغم من اهتمام المفكرين المسلمين والفقهاء بهذا المنطق الأرسطي، إلا أن المتصوفة القدامى لم يولوه اهتمامًا كبيرًا، خاصةً وأن منطقهم اعتمد أكثر على الكشف.

كان السهروردي من أوائل الفلاسفة المتصوفين الذين شذوا عن تلك القاعدة؛ إذ اهتم بالدراسات الفلسفية منذ نعومة أظافره، وتعلم المنطق الأرسطي ووجد فيه مادة غزيرة، تحديدًا في أعمال مشّاءو العرب، والتي كان من بينها كتابات العالم البلخي ابن سينا.

بعدما[درس](http://www.univ-oran2.dz/images/these_memoires/FSS/Doctorat/TDSSA-62/Th%C3%A8se%20Finale%20Doctorat%20Philosophie%202016-2017.doc) السُهروردي هذا المنطق وأتقنه، بدأ في نقده وتنقيحه، وهو ما نستدل عليه من «رسالة التلويحات اللوحية والعرشية» للسُهروردي، إذ نجده يحاول – على سبيل المثال – تنقيح ما استطاع من أفكار المشائين الشائعة، وتوسع في البحث بين مفهوم «الكلي والجزئي»، إذ خلال التجربة الصوفية، يدرك الفرد أن الذات الروحية للإنسان «الذات الجزئية» انفصلت عن ذات الحق وهو «الذات الكلية»، ولهذا يناجي المتصوفة من أجل اتحاد الجزء بالكل، والحاق نفسه بذات الحق، حتى يفنى فيها عن طريق المعراج الروحي.

كان هذا بالإضافةً إلى مفاهيم أخرى مثل «المتناهي واللامتناهي»، إذ كان المتناهي نسبةً إلى السُهروردي هو الأشياء المادية التي نتعرف عليها بالحس وليس عن طريق الحدس، أما اللامتناهي يرتبط بالحدس. أساسه النور الرباني، وهو المطلق الكلي اللامحدود، والذات تعرف ذاتها عن طريق معرفة ربها، وإذا عرفت نفسها سلكت طريق الخير.

عنى السُهروردي المقتول عناية خاصة بقضية الماهية والوجود، وهو ما جعله وجوديًا قبل نشأة الفلسفة الوجودية. إذ عارض الآراء القائلة بأن الوجود زائدًا على الماهية، مما يفترض أن الماهية قد تتواجد قبل الوجود أو بعده، في حين أدرك السُهروردي وحدة الوجود والماهية، وأن الوجود يسبق الماهية، بل إنه لولا الوجود المطلق لما تواجدت الماهية، والتي تعد وجودًا ثانويًا.

**رابعا: معاني النور في فلسفة الإشراق**

[قبل](https://www.goodreads.com/book/show/13601645) السهروردي لم يربط أحد بين الفلسفة والتصوف، ومن هنا تنبع أهميته خاصةً عند باحثي فلسفة الأديان، إذ سعى للجمع بين حكمة الفلسفة والحكمة الروحية، قائلًا إنه لا تعارض بين الحكمتين، وهو مذهب الإشراقيين، فكان الإشراقي الحقيقي هو من يتقن منابع الحكمة العقلية بالبحث والدراسة، وفي الوقتِ ذاته يستطيع النفاذ إلى أسرار الحكمة الذوقية وهي حكمة خاصة بالمكاشفات الربانية والعالم الروحاني.

يقول السهروردي في كتابه: ( [حكمة الإشراق](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A9) )، القسم الثاني نور الأنوار: (لا شيء أظهر من النور، فلا شيء أغنى منه عن التعريف)، فالنور هو المبدأ الأول للوجود، والله نور الأنوار، ومن نوره يفيض على الموجودات عن طريق الفيض والكشف والإشراق. وهو ما جعل من حكمة الإشراق شكلًا آخر من أنطولوجيا الوجود – مع مراعاة الاختلاف – وهي علم يهتم بحقيقة الطبيعة المطلقة والأشياء الميتافيزيقية غير المادية.

كان النور بالنسبةِ إلى السهروردي هو إشعاع نوراني يكشف كنه الوجود، أشبه بلحظة إدراك الحقيقة بوضوح، وقد قسم العالم في فلسفة النور إلى قسمين: «العالم الأدنى» وهو عالم الظلام، و«العالم الأعلى» هو عالم النور، والله على رأس العالمين، هو نور الأنوار القاهرة، وبالتالي يحمل داخله ثنائية الجوهر بحسب السهروردي، في وقتٍ  آمن فيه الفلاسفة الآخرون أن الظلام هو تلاشي النور، وبالتالي انعدام للوجود.

لفهم [ماهية النور](https://books.google.de/books/about/%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF_%D8%B9%D9%86%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%87.html?id=qadEAQAAIAAJ&redir_esc=y) عند السهروردي بطريقةٍ أبسط، وهي حجر الأساس الذي ارتكنت إليه أفكار الإشراق، يجب أن نعي أن الله بالنسبة إلى السهروردي كان «نور الأنوار»، وهو الأصل الذي فاضت عنه كل أنوار العالم المادي والروحاني.

فكان مفهوم الوجود عند أرسطو والذات المطلقة عند المتكلمين، ونظرية الفيض عند الفارابي وابن سينا، المعادل لها في الإشراق «نور الأنوار» والتي تشير إلى أن الله هو الغني الحقيقي والمُطلق، ولذا خرج من وجوده كل الأنوار. وبذلك أصبح النور الإلهي هو سر الخلق الذي أخرجنا من ظُلمة العالم إلى نور الوجود.

 استند في ذلك إلى الأساس القرآني في سورة النور الآية 35، والتي تقول: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لّا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).